تفسير ابن كثير

قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الطيب الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى ا عليه وسلّم { وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون } قال : هم المنافقون أما لا تفسدوا في الأرض قال الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية وقال أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى { وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض } قال يعني لا تعصوا في الأرض وكان فسادهم ذلك معصية ا لأنه من عصى ا في الأرض أو أمر بمعصيته فقد أفسد في الأرض لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة وقال ابن جريج عن مجاهد { وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض } قال : إذا ركبوا معصية ا فقيل لهم لا تفعلوا كذا وكذا قالوا إنما نحن على الهدى مصلحون وقال وكيع وعيسى بن يونس وعثمان بن علي عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد ا الأزدي عن سلمان الفارسي { وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون } قال سلمان لم يجئ أهل هذه الاية بعد وقال ابن جرير حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم حدثنا عبد الرحمن بن شريك حدثني أبي عن الأعمش عن زيد بن وهب وغيره عن سلمان الفارسي في هذه الاية قال : ما جاء هؤلاء ؟ قال ابن جرير : يحتمل أن سلمان Bه أراد بهذا أن الذين يأتون بهذه الصفة أعظم فسادا من الذين كانوا في زمن النبي صلى ا عليه وسلّم لا أنه عنى أنه لم يمض ممن تلك صفته أحد قال ابن جرير : فأهل النفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه وتضييعهم فرائضه وشكهم في دينه الذي لا يقبل من أحد عمل إلا بالتصديق به والإيقان بحقيقته وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب ومظاهرتهم أهل التكذيب با وكتبه ورسله على أولياء ا إذا وجدوا إلى ذلك سبيلا فذلك إفساد المنافقين في الأرض وهم يحسبون أنهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها وهذا الذي قاله حسن فإن من الفساد في الأرض اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء كما قال تعالى { والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير } فقطع ا الموالاة بين المؤمنين والكافرين كما قال تعالى { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا عليكم سلطانا مبينا } ثم قال { إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا } فالمنافق لما كان ظاهره الإيمان اشتبه أمره على المؤمنين فكأن الفساد من جهة المنافق حاصل لأنه هو الذي غر المؤمنين بقوله الذي لا حقيقة له ووالى الكافرين على المؤمنين ولو أنه استمر على حاله الأول لكان شره أخف ولو أخلص العمل وتطابق قوله وعمله لأفلح ونجح ولهذا قال تعالى {

وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون } أي نريد أن نداري الفريقين من المؤمنين والكافرين ونصطلح مع هؤلاء وهؤلاء كما قال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس { وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون } أي إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب يقول ا { ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون } يقول ألا إن هذا الذي يعتمدونه ويزعمون أنه إصلاح هو عين الفساد ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فسادا